جان بول سارتر

يتحدث عن فنه الأدبي

الجزء الذي ننشره هنا من هذه المقابلة التي اجرتها مادلين شابسال مع جان بول سارتر يشكل ثلثي المقابلة بكاملها . وكان سارتر ، في الجزء السابق لهذا ، قد تحدث عن العلاقة بين اعماله الادبية الصرف واعماله الفلسفية، ثم مضى يتحدث عن حياته ككاتب خلاق، ويعطي رأيه في بعض الكتاب الفرنسيين المعاصرين.

— اذاً فانت تعتقد بان الادب هو دائما ملتزم ؟

سارتر : ان لم يكن الادب **كل شيء** فهو لا يستحق ساعة من الجهد . هذا ما اعني « بالالتزام » . الادب يذوي فورا اذا قصرناه على البراءة والاغاني . الجملة المكتوبة التي لا تترك صدى في جميع مستويات الانسان والمجتمع لا تعني شيئا. ان ادب عصر ما هو ذلك العصر وقد فكر فيه ادبه تفكيرا طويلا .

— يتهمونك بانك لا تنظر الى الادب نظرة جدية لحدّ كافٍ ،وبانك تعمل على جعله تابعا للسياسة . ما رأيك في ذلك ؟

سارتر : ارى ان اتهامي بالمبالغة في تقدير الادب هو منطقي اكثر . ان جمال الادب هو في استهدافه ان يكون كل شيء ، وليس في بحثه القاحل عن الجمال . **الكل** هو وحده الذي يمكن ان يكون جميلا . والذين لم يفهموني لم يهاجموني (مهما ادّعوا) باسم الفن بل بالاستناد الى التزامهم الخاص .

— بالنسبة اليك ، هل تعتبر ان الادب قد حقق كل ما وعد به ؟

سارتر : لا اعتقد ان بامكانه تحقيقه ، لا بالنسبة اليّ ولا بالنسبة لاي شخص بصورة خاصة . انني اكلمك عن متطلبات الكبرياء . فبدون كبرياء مجنونة لا يمكن لاحد ان يكتب ؛ ولا يصبح الكاتب متواضعا الا عندما يتمكن من ان يضع كبرياءه في نتاجه . هذا وباستطاعة الكاتب ان يخطىء هدفه، كما يمكن ان يتوقف في اثناء انتاجه. وعندئذ؟ يجب ان نبغي **كل شيء** ، اذا شئنا عمل **شيء** ما .

— كتابة شيء يكون كل شيء — أليس هذا في النهاية امل كل كاتب ؟

سارتر : اعتقد ذلك ؛ واتمناه للجميع . ولكن ما يفزعني هو ضعة البعض : فكري كم من الضعة يحتاج المرء لينال رضى المجامع العلمية وجوقات الشرف! اما الذين لا يهمهم

ولذا ، والذين يرغبون ان يجدوا كل شيء في اللاشيء الذي يحيط بهم ، فعليهم ان يتقدموا ويعلنوا اهدافهم بوضوح .

– ولِمَ ذلك؟

سارتر : لانهم اذا ظلوا ملتزمين الصمت فانهم يرسخون تناقضا يقف عثرة في سبيل الكتاب الآخرين . فالكاتب لا يخبىء شيئا في يديه – بل ولا يخبىء شيئا في جيوبه . واذا كان يمسك بورق لعب فعليه ان يبدأ برميه . انني اكره كافة هؤلاء المشعوذين الذين يريدون ان يُدخلوا في روع الناس بان ثمة عالما سحريا للكتابة . انهم يخدعون الناشئة ويدفعونهم الى ان يصبحوا سحرة مثلهم . ليبدأ الكتاب بالاستغناء عن السحر والوهم. والواقع ان في قبول الكاتب بان يكون من طبقة المشعوذين كثيرا من الغرور وكثيرا من الوقاحة في الوقت ذاته . ليتقدم هؤلاء السادة وليعلنوا ماذا يريدون وما الذي يفعلونه . والمؤسف ان النقاد يشجعونهم على ان لا يعترفوا قط برغباتهم وبوسائلهم – ولا حتى لانفسهم . وهم بذلك يريدون الحفاظ على الفكرة الرومنطيقية القديمة ، الا وهي ان افضل الكتاب يكتب كما العصفور يغني . ولكن الكاتب ليس بعصفور .

– هل يوجد اليوم كتاب يعملون حساب مبادئك : من اجل حرية اكثر، بالتزام تام ؟ ومن هم الكتاب المعاصرون الذين يثيرون اهتمامك ؟

سارتر : اذا طرحت عليّ السؤال بهذا الشكل كان عليّ ان اجيبك باني في الواقع لا ادري . على كل، ثمة كتاب اصحاب موهبة كبيرة : مثل بيتور وبيكيت . واني اهتم كثيرا بنتاج روب غرييه وناتالي ساروت . ولكن اذا تفحصنا آثارهم من وجهة نظر الشمول ، فاني اجيبك بانه يوجد في فرنسا كاتب واحد استطاع ان يطرح المشكلة على نفسه بوضوح وان يستجيب الى متطلبات ذلك الكل : وهذا الكاتب هو بيتور .

اما الباقون فلا اعتقد بان هذا الامر يهمهم ، انهم يبحثون عن شيء آخر . ولماذا لا نعترف لهم بحق البحث ؟

– هل تجد بان الكتاب يخطئون في تحديد حقل ابحاثهم ؟

سارتر : ابدا ؛ انهم يخطئون اذا اعلنوا بانه لا شيء يستحق العمل الا ما يقومون هم بعمله (ومن المحتمل انهم يعلنون ذلك ، ولكن اي كاتب لم يصرح بذلك في مرحلة ما من مراحل حياته ؟) ولكن البحث والتجربة مشروعان كلاهما. هناك عدد كبير منا في اي بلد ، نقوم بروح مجردة ، بعمل جماعي ومنفصلين ، محاولين الوصول الى ذلك الشمول الصحيح الذي هو الادب . ان بعض الادباء يستغرقون في التفاصيل ، ولكنهم يسهمون بهذا العمل الجماعي ، بفضل باقي الآخرين .

أتريد ان تقول ان بحثك الخاص هو اكثر شمولا ؟

سارتر : في عالم النوايا ، اجل ؛ ولكن حيث التنفيذ فالقضية تختلف. كثيرون من الادباء هم ذوو بصيرة حادة عندما يختص الامر بالتفاصيل ، ولكن نظرتهم تتعكر عندما يتوجب عليهم وضع التفاصيل في مكانها في المجموعة .

انني اعتبر ، وبدون ادنى تحفظ ، ان ما تقوم به ناتالي ساروت هو شيء رائع . ولكنها تعتقد انها تبلغ ، عن طريق التبادلات والصلات الحيوية التي تصفها ، الى العلاقات الابتدائية بين الافراد ، في حين انها لا تقوم في الواقع الا بتبيان الآثار المجردة والدقيقة لوسط اجتماعي محدد جدا: وسط ميسور وبرجوازي ومتحذلق بعض الشيء، حيث العمل والبطالة لا يتميز واحدهما عن الآخر ابدا. وان السمة المرضية التي تتسم بها كتبها اكثر فاكثر تظهر نموذجا من العلاقات خاصا بهذا الوسط . ولكن الفرد لا يجري تحديده بشكل صحيح في البيئة التي ينتمي اليها ، ولا البيئة في الفرد : ويبقى القارىء على المستوى الوهمي وغير المحدد للامور المباشرة . والواقع ان جميع هذه الحركات الفردية تتحدد في المجموع ، الذي تدل عليه حتى في ادق تفاصيلها . ولكن في مؤلفات ناتالي ساروت يتميز المجموع بغيابه . حتى ان عنوان كتابها الاخير « معرض النجوم » يثبت ان هذا المجموع هو غائب عن قصد . ومن اجل ذلك فان « معرض النجوم » يعيد الى الاذهان بتحركات شخصياته نسخة من « الزمن المعثور عليه » الذي يتفكك ببطء تحت تأثير « الزمن الضائع » . ومن اجل ذلك ايضا فان هذا الكتاب مؤلف وضعته امرأة. اي ان هذا التفتت هو على الضبط الوجه الآخر لرفض الانسان اخذ العالم المحطم ذرات على عاتقه . انه العمل وقد رُفض ، الحركة وقد رُفضت .

– قلت ان هذا الكتاب هو مؤلف «وضعته امرأة». فهل تعتقد بان المرأة لا تستطيع ان تكتب سوى مؤلفات نسائية ؟

سارتر : لا، ابدا. ان المؤلف النسائي هو الكتاب الذي يرفض ان يعنى عناية صحيحة بعالم الرجال . كثير من الرجال لم يكتبوا قط سوى كتب نسائية . واعني بالمرأة هنا « المرأة الاجتماعية » ، اي تلك التي جردوها من حق التفوه بعبارة : « انني اقوم ببناء العالم بذات الحق الذي يقوم ببنائه جاري » . وعندما اتكلم عن « رواية نسائية » فان هذا هو ما اعنيه : ان الروائية قد اثبتت وجودها بمواهبها ، ولكنها لم تشأ ان تنسلخ عن وضعها كانسان محروم ، وذلك بسبب غيظها وتواطئها مع العدو .

تكلمت منذ هنيهة على التركيب المرضي . على انه ينبغي ان اضيف بان هذا التركيب يفرض نفسه على المؤلف دون ان يشاء هو ذلك ، او ربما دون ان يدري به . ان هذه التراكيب التي تحاول الموسيقى المعاصرة ان تحددها كحيز صوتي ، يجهلها اكثر « الروائيين الناشئين » ، او بالاحرى يبعدونها عن عالم الرواية . فقد اكتشف هؤلاء بان الاشخاص

الاخلاق والاشياء غير موجودة . حسن ان يكشف كل جيل ذلك مجددا . ولكن هل يعني ذلك بانه ليس من تركيب سليم او تركيب غير سليم في المجتمعات التي انتجتهم ؟ ألا يدرون انهم بعملهم هذا يحذفون من آثارهم ما هو في صلب علم الانسان والابحاث الانثروبولوجية ؟

كي فقد قيل، مثلا، بان روب غرييه يريد ان يبدل نظرتنا الى الرواية بمسح المفاهيم الراهنة جريا . حتى ان بعض النقاد اليساريين، الذين يحبون روب غرييه ويتمتعون بتفكير سليم، قد قالوا بان هذه المحاولة سوف تحررنا من نظرتنا البرجوازية الى الرواية .

كلا لكن مع الاسف فان هذا التبديل ليس ممكنا الا اذا كان الامر يختص بعالم الموسيقى ـ كما هي الحال بالنسبة الى ويبرن ـ : حيث يقتصر الامر على تحرير السامع مما يتوقعه وينتظره. وليكن الغرض الاجمالي الذي نلقاه في الرواية هو غرض انساني ؛ وهو لا يعني شيئاً ان جرد من معانيه الانسانية . ان اشياء روب غرييه المجردة تطفو بين صعيدين من المعاني ، على طرفي نقيض . فالقضية تكاد تكون قضية اوصاف خالصة الوضعية ، وقياسات، ومخططات هندسية للاماكن . غير انه في الواقع ليس شيء اكثر انسانية من استعمال علامات الحدود والحسابات والتخطيط والمسح . ازيلوا الانسان فلا تعود الاشياء بعيدة او قريبة ؛ بل كل ما في الامر انها لا تعود موجودة . والتأكيد بانه يمكننا وصفها وترتيبها وتصنيفها هو اول مرحلة من مراحل التفكير الرياضي . واما ان تلوح هذه الاوصاف فجأة (وهذا هو النقيض الآخر) وكأنها رموز العالم الذاتي الداخلي للانسان الذي يختار الشيء ـ الرمز لان تفكير الانسان الذي يشغل فكره امر واحد، لا يمكن التعبير عنه. انظروا الى مشهد فض البكارة الشهير في كتاب « المبصبص». وذلك المشهد الذي نرى فيه اولادا يمشون على الشاطىء، حيث يبدو ان اهتمام المؤلف الاكبر يقتصر على جمع حركتين : حركة الامواج وحركة عمودية عليها هي حركة خطوات الاطفال التي تنطبع على الرمال المبللة . وهكذا نرى كل شيء يتأرجح فجأة داخل الرمز ؛ فيكفي ذكر برج اجراس لكي ندرك ان مشية الاولاد مشية غير محددة وبلا هدف ولكنها مع ذلك منظمة بواسطة نداءات لا ندري ابدا اذا كانت حقيقية او خيالية ، لانها في الوقت ذاته فريدة في نوعها ومكررة باستمرار . تجدين في هذا ، بكل بساطة ، رمزا مسطحا بعض الشيء لوضعنا .

انني اجد الكثير من الجمال في هذه الاشياء التي تفضح صاحبها . هذا التخطيط هو بالطبع اشبه بتخطيط مختبر. ليس لاحد الحق في الاختيار بين المعاني التي تؤلف انحناءاتها العريضة الواقع الانساني . ينبغي ان تكون موجودة ، بكاملها . وليس من الضروري تسميتها . ولكن الادب يبتدىء بادىء ذي بدء بالصمت .

ـ أولا تعتقد بان الاشياء هي ابدا حاضرة ، في هذا الصمت ، حتى عندما لا يذكر الكاتب سوى بعضها ؟ فلو كنت تكتب نقدا لكتاب لروب غرييه او لناتالي ساروت ، أكنت تبين كيف ان الكون موجود هناك ، موجود بكامله هناك ، متجمعا حول اصغر جملة من الجمل التي يكتبانها ؟

سارتر: اجل . من المحتمل . ولكن ذلك يكون مضيعة للوقت . على انه لا بد من الاعتراف، من الناحية الاخرى، بأنه يوجد اليوم في فرنسا كاتب يطمح في ان يصبح كاتبا عظيما وهو يتمتع بجميع ما يخوله ذلك: الا وهو بيتور. هذا الكاتب هو الذي ينبغي ان نحاول مساعدته (ولو انه على ما اعتقد ليس بحاجة الى احد) وذلك بتوضيح اهدافه وبتبيانها امام الجمهور . هذا كاتب مترفع : انه يكتب لان الكتابة هي حياته . هو يبغي الوصول الى اناس يلوح احيانا بانهم قد انبثقوا عن رواية شعبية، الوصول اليهم **من خلال الشمولية** التي يضيعون فيها . ومن اجل ذلك فان احدا من هؤلاء الرجال ليس في النهاية ما ظنناه: فكل واحد ضائع في المجموعة وهو ينتهي باستبطانها وباعطاء صورة عنها ؛ كل واحد يضحي كاتبا في النهاية .

انني اقوم الآن بقراءة كتابه «درجات» . لم يسبق ان قام احد بمحاولة امهر واعمق لفهم الانسان من خلال علاقاته العائلية والمهنية التي كونته وقولبته والتي يقوم مع ذلك بتبديلها . ثمة حياة جديدة فيه : انسان هذه الرواية ليس بالامكان رده الى المجتمع الذي خرج منـــه ولا الى حقيقته الفردية . ليس هناك حقيقة اجتماعية ولا فردية. في الواقع ان مبدأ الفردية قد هُجر . ونشاهد في مجموعات مهنية وتقليدية مجموعات مترددة تظل تظهر بتكرار وهي دائما **متشابهة لا تتبدل** . ان هذا الكتاب كتاب خارق يخرج بلا ريب عن المعتاد . ولو كنت ناقدا ، لكان هذا هو الكتاب الذي اجد لذة في التحدث عنه .

ومما يزيد في اعجابي به انني منذ قراءتي لرواية بيتور « التعديل » وجدت فيها اكبر الوعود . ان الشيء الذي لم يعد بالنسبة لروب غرييه اكثر من رمز سري ملازم، يجد في بيتور (لا لانه استعمل تقنية جديدة ولكن لانه استعملها بدقة متناهية) **معناه الحقيقي**، كاداة تحوّل من يستعملها . ان نية ركوب القطار تصبح مركز التردد . ولكن في الوقت الحاضر القطار هو الذي **يفعل** ؛ جميع اعماله تبدّل في الشخصيات : تحركه ووقوفه وتقاليده والمحطة واتجاهها الواحد . كلتا المحطتين ، التي ينطلق منها والتي يتوجه اليها ، تشاركان في هذه الصفة ، ومع هذا فهما المحطة ذاتها من ناحية طوبوغرافية . الابعاد التي يخلقها القطار عن الاشخاص الآخرين هي ايضا جزء من التبدلات التي تجري .

من خلال كتب بيتور الثلاثة الاولى ، احس بمحاولة مقصودة ومجنونة تماما للقبض على

كل شيء . هذا يدل على ان الكاتب كاتب اصيل . لقد شق بيتور طريقا عريضة ، وسيشق طريقا اعرض .

– ولكن انت ؟ ما هي تجربتك الخاصة في العمل الادبي ؟ هل استخدمت الادب كما كنت تأمل ؟ هل انت راضٍ ومتفائل ؟ او انك اصبت بالخيبة ؟

سارتر : لا ، لم اصب قط بالخيبة . فيما يخص عملي ، لقد سارت الامور سيرا حسنا على الدوام . لقد حدث لي ان تركت مؤلفات كنت قد بدأت بها وذلك لاني لم ادرِ كيف اتابعها . ونشرت كتبا اعتقدت انها جيدة ووجدها البعض رديئة ؛ وقد تبين لي احيانا انني كنت مخطئا وان النقاد كانوا على حق . ولكن ذلك كله جزء من هذه المهنة . مثل هذه المنغصات توجد بطريقة او باخرى في كل مهنة .

ما اريد ان اقول هو ان العمل الادبي بحد ذاته **لا يمكنه** ان يتقبل الخيبة . سابدو لك مشوشا بعض الشيء ، ولكن لابأس من التبسط في هذا الصدد . النجاح في حقل التعبير يوازي حتما الفشل . وانا اعني بالنجاح ، النجاح التقني – وليس النجاح الذي يقاس بالنسبة لعدد النسخ المباعة والذي كان مقياس النجاح للمؤلفين الاستقراطيين في القرن المنصرم . لا يمكن للكاتب ان ينجح ، لانه يضع نصب عينيه الفشل منذ البداية . كمحاولة نقل الحركة عن طريق الكلمات الجامدة ، مثلا . ومن خلال جميع الاكاذيب نجد الفشل في النهاية : تتراكم الانكسارات الصغيرة على المؤلف حتى انه يجيء وقت لا يستطيع بعده ان يتقدم ؛ يشعر بانه فقد كل شيء . وعند ذلك ، كما يقول صديقي جياكومتي ، نستطيع ان نرمي المصنيع الفني في صندوق القمامة او ان نعرضه في معرض . هذا ما يصل المرء اليه . نقيض ما اراد ان يصنع . ولو استطعنا ان ننسق الهزائم ونسجلها على مسودة ما ندفعه الى الجمهور ، لبينت لنا ما كان ينبغي عمله . والواقع ان المشاهد هو النحات الحقيقي عبر الفراغ ، وهو الذي يقرأ الكتاب ما بين السطور .

– والجمهور ؟ ما هي علاقاتك به ؟ كيف تطورت ؟ ألم تقل بان الجمهور يلعب دورا كبيرا في حياة الاثر الفني ؟

سارتر : هناك علاقات كثيرة . فالكاتب مرتبط ليس فقط بعصره ، بل ايضا ، في عصر القومية هذا ، بمجتمع بلده . لدرجة انه لا يعود للكاتب من تاريخ شخصي يختلف عن تاريخ جمهوره . في يوم من ايام الشباب عزمنا ، سيمون ده بوفوار وانا ، على القيام بالتزلج على الثلج . كانت عزيمة جدية ، فكرنا فيها مليا ووجدناها لا تخلو من الابتكار . وفي يوم الرحيل تبين لنا ان جميع تلاميذ الكلية الكبار وجميع اساتذتهم كانوا مبتكرين مثلنا . وهذا يعني باني لن اقول ابدا ما اشعر انا به ما لم اتأكد بان **كل الناس** يشعرون

بالشيء ذاته. لا اريد ان اعبر عن جمهوري على الرغم مني،على غرار ارستقراطيي الشعور الذين كانوا في مستهل القرن يفتشون عن الاحاسيس المرهفة في آثار طليطلة واعمال غويا والذين في النهاية كانوا يعبرون عن محاولة في التحذلق البرجوازي الذي قضت عليه الحرب العالمية الاولى . انني اريد ان اعبر ، كأحسن ما استطيع التعبير ، **عما اشعر به انا وسائر الناس .**

— ممن يتألف جمهورك ؟

سارتر : من طلاب واساتذة واناس مهتمين حقا بالادب — او بالاحرى مدمنين عليه؛ ان هذا يؤلف دائرة صغيرة . ان عدد النسخ المطبوعة لا يعني شيئا — ان كان كبيرا او ضئيلا . فالجمهور يبقى هو هو : ليس جمهوري انا بل جمهورنا **نحن** . انه جمهور جميع المدمنين على الكتابة .

ان الصحفيين يقومون بعمل غريب . انهم يلعبون باحصائيات المبيع ويستخرجون المعدلات ويقومون بالمقارنات الاحصائية (كيفما تأتي الحال وبناء على معلومات على العموم خاطئة) ويستخلصون النتائج . والواقع انهم يخلطون بين معنى عدد نسخ الكتاب المباعة وعدد النسخ المباعة من جريدتهم . في بلاد كالاتحاد السوفييتي ، حيث توجد طبعات رسمية للكتب ، فان عدد نسخ الكتاب المطبوعة ينطوي على معنى حقيقي : فاذا طالب الجمهور بترجمة جديدة لزولا ، فذلك لانه يشعر بحاجة حقيقية لان يقرأ او يعيد قراءة زولا . ولكن في البلاد التي تتبنى نظام الرأسمالية الحرة او نظام الاقتصاد الحر ، فالارقام لا تتضمن اي معنى . فاي علاقة بين كتاب مثل كتاب شوارز بارت المدروس والعميق والدقيق والذي يعبر عن محاولة بلا امل لاستعادة الاموات الذين قضينا عليهم، وتلك المرأة الشابة الانيقة ذات الوجه القاسي والغبي والتي رأيتها منذ ايام في مطعم في قطار تقرأ كتابه « آخر العادلين » وهي تقضم فطيرة من المربى؟ لقد كانت تقرأه، ولكنها لم تكن من قرائه .

— لم تجبني تماما على سؤالي . فيما يختص بك **انت شخصيا** ، هل لديك شعور بالنجاح او بالفشل ؟ هل يمكنك القول بان بعض الاشياء قد تغيرت نتيجة لكتاباتك ؟

سارتر : لا ، ولا واحد . على العكس ، فمنذ نعومة اظفاري حتى اليوم لقد عرفت نوعا من العجز التام. ولكن ذلك ليس بذي اهمية. واذا اردت شرحا اوفى، لم تكن مؤلفاتي الاولى تهتم مباشرة بالمشاكل الاجتماعية . ثم حدث بعد ذلك الاحتلال : فبدأ الناس يشعرون بانه ينبغي عمل شيء . وبعد الحرب صرنا نفكر بان الكتب والمقالات وماشاكل يمكن ان تعين وتنفع . ولكنها لم تفعل ذلك البتة . ثم فكرنا بعد ذلك — او بالاحرى فكرت انا — بان المؤلفات المشغولة والمكتوبة بدون ان تكون لها اية علاقة بالاحوال الراهنة

المباشرة قد تفيد مع الوقت. ولكن ذلك ايضا لم يؤدِ الى اية فائدة. اذ ليس بهذه الطرق يمكن التأثير في الناس . كل ما يحدث اننا نجد ما فكرنا فيه او شعرنا به مشوها . نجده يستعمل ضدنا وقد تبدل في كتابات بعض الادباء الناشئين الذين ينقلبون علينا ويهاجموننا (وهم على حق . ألم اقم انا بعمل مماثل لعملهم؟) هذا هو العمل الادبي : ترين انه لا ينتج عنه المفعول الذي كان ينتظره الاديب .

ل — ولكني لا ارى ان كل الذين اثرت فيهم قد اضحوا اعداء وهاجموك ! أليس منهم من تجد آثارا من نفسك في كتاباته تتعرف اليها بسرور؟

ر سارتر : اكيد . ولكن اود ان تفهميني : لكي اقدر هؤلاء الادباء يجب ان يفعلوا شيئا بما فعلته انا . ولما كنت ما ازال على قيد الحياة ، كان لزاما ان يكون هذا الشيء على نقيض ما قمت انا بفعله . فلو اني الفيت نفسي حقا في شخص آخر ، فان هذا الامر يسبب لي ازعاجي : لماذا يكرر شخص آخر ما سبق لي ان صنعت ؟ على العكس ، عندما يحظى كاتب (او قارىء شاب لا يكتب) باعجابي ، فاني ارجو حقا ان يثير في نفسي بعض الحرج في بادىء الامر. ولا بأس اذا اكتشفت ، بعد قليل من الزمن ، وراء ما خلته جديدا صورة قديمة ومشوهة ومطموس نصفها ، لنفسي .

وموجز القول ان قيمة القراءة الحقيقية هي في ان القارىء نفسه يسمح لنفسه ان يتأثر بملء الحرية . وهذا وحده كاف لاهمال الفكرة القائلة بان القراءة نشاط سلبي ؛ فالقارىء يستنبطنا وينصب شراكه الخاصة بواسطة كلماتنا . فهو فاعل ، وباستطاعته ان يتجاوزنا ، ونحن نكتب من اجل ذلك . وهذا حقا هو السبب في انني لم اشعر بخيبة لبدا في مهنتي . طبعا كان هناك العجز ، الذي يحس به كل من يتعلم الحرفة ؛ لكن هذا حصل لاني في حدود سنة ١٩٤٠ كنت ما ازال اؤمن بسانتا كلوز.

ت — قد اثير دهشتك ، ولكن يخيل اليّ في بعض الاحيان بانك انت نفسك كنت منزويا اذ ذاك ، في مجتمعك وفي آثارك . عندما قرأت « سجناء التونا » قلت في نفسي بان هذا السجين ما هو الا انت .

ا سارتر : انا ؟ ان ذلك لن يزعجني . لانني حتى هذا الحين لم اسجن نفسي كما ينبغي وكما احب . فلو اني كنت فرانتز حقا كما تقولين لما كنت اضنيت نفسي بالندم ؛ والواقع ان هذا هو السالب (النيغاتيف) لحلم من احلامي : ان أنزوي في حجرة صغيرة واتمكن من الكتابة بهدوء . ساغذي هذا الحلم الجميل حتى مماتي ! ...

ن لكن ما اردت في الحقيقة ان افعله كان ان اعبر عن امر اشعر به — وفي اعتقادي ان كل الناس يشعرون به. نوع من الذعر يستولي على الذين هم في سني ، اي الرابعة والخمسين [اجريت هذه المقابلة في ١٩٥٩] ، او الذين يصغرونني بقليل ، عندما يتطلعون الى الوراء ويتأملون

العصر الذي هو من صنع ايديهم ويقولون : « اجل ، هذا هو». انني لا اتكلم عما يشعر به روسي شاب ، ولكن ما يحس به فرنسي تقدم به العمر .

هاك مثلا : في شبابنا كنا وديعين، تقض مضجعنا قضية العنف. وماذا كانت النتيجة؟ ان الشباب تبنوا العنف وضربوا بمشاكله عرض الحائط . هذا ما كنت احاول ان اقوله لك : اية صعوبة حقة في ان يتعرف الانسان الى نفسه في الآخرين. اذ انه هو نفسه آخر .

ـ بالضبط . يشعر المرء انك انت ، الذي كانت تقض مضجعك مشكلة العنف كما تقول ، اكثر تضايقا من الآخرين في هذا المجتمع الكالح، وانك لا ترتاح ابدا الى العيش فيه، بل انك تكاد تختنق ، ولذا فانك تلتجىء الى آثارك للتخلص منه . هذا هو السبب الذي حدا بي لان اسألك عما اذا كنت تشعر بأنك رهين محبس .

سارتر : كلا . ان ما اوحى اليّ بجو « سجنـاء التونا » القاتم هو في الاساس الحالة الراهنة للمجتمع الفرنسي. انها فوضى رهيبة ؛ واشعر تماما باني جزء منها، ككل فرد من هذا المجتمع . واذا كنت سجينا ، فانا ككل الذين قالوا لا وظلوا يكررونها ، سجين النظام الحالي .

ـ ماذا تعني بكلمة « العنف » ؟

سارتر : لقد عرف ابناء جيلي مظهرين من العنف المقدس بين الطفولة وسن المراهقة . في سنة ١٩١٤ ، الحرب ؛ قيل لنا بانها عادلة وان الله معنا . وفي سنة ١٩١٧ ، الثورة الروسية . في اثناء ذلك كانت الغشاوة قد انحسرت عن اعيننا ، وحوالي سنة ١٩١٩ وضعنا آمالنا في هذه الثورة. لا تظني بانني اخلط بين حرب رأسمالية وبين ثورة لينينغراد. استطيع القول اليوم بان شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ قد قلب العالم بطريقة لا يمكن التراجع عنها. ولكني احدثك بلسان حال الاولاد في ذلك الحين. لقد كنا متشربين بعنف آبائنا . بين ١٩١٤ و ١٩١٨ عشت في لاروشيل، حيث كان الاولاد اصحاب السلطة وكانوا يتصورون انفسهم في الجبهة . لاحق احد رفاقي امه والسكين في يده لانها قدمت له طعام البطاطا وهو لا يحب البطاطا. وفيما عدا ذلك فقد كان هؤلاء الصبيان جد متزنين. ولكن هذه الحوادث كانت قد اججت صدورهم ، لا سيما وانه كان يطلب منهم تبني هذا العنف المقدس . وقد فعلوا ذلك، ولكنهم ما لبثوا ان شعروا بالقرف، ولم يجد الكثيرون منهم (وكنت في عداد هؤلاء) صعوبة في استبدال الثورة المقدسة بالحرب المقدسة . ولما دخلت دار المعلمين ما من احد كان يجسر على التصريح بانه ينبغي نبذ العنف . كان همنا الاكبر ان نضبطه ونضع حدا له . كان عنفنا عنفا حسن السلوك ، له وجهة وهدف . كان اكثرنا لطيفا جدا بطبعه ؛ ومع ذلك لصبح كائنا عنيفا لان احدى مشاكلنا كانت ان نقرر هل هذا العمل او ذاك عمل عنف ثوري او انه يتجاوز العنف الذي تبرره الثورة؟ وقد

بقيت هذه المشكلة مشكلتنا ؛ ولم نتجاوزها البتة .

تفهمين مرادي ؟ ثم ان الكثيرين منا قد انجبوا الاولاد . انا لم انجب ولدا ، ولكني علمت اولاد الآخرين وكانت عليّ مسؤولية متساوية بالنسبة للجميع . وقد انجب هؤلاء الاولاد اولادا بدورهم . ويلوح لي بان هؤلاء قد تأثروا بنا وجعلوا من العنف مبدأ من المبادىء . فالشباب في لندن الذين عذبوا الزنوج القادمين من بلاد الانتيل ، والفتيان الالمان المعادون للسامية ، والفاشستيون الفرنسيون الشباب، يميزهم جميعا استعمال عنف صافٍ غير مشروط ، وحبهم له . هذا العنف لا يحاسب نفسه ابدا ولا يحاول ان ينتقدها ، بل هو يحبها. فهو للحد ذاته انفجار حقد يسببه الشقاء، ونوع من التسلية. فثمة في ضواحي باريس المشعشعة افراد من « القمصان السود » يشعرون بالضجر كالجرذان الميتة . فينشئون العصابات ، لان كل شيء حسن مرض ـ حسن مرضٍ بطريقة تقبض الصدر ، في هذه البنايات الفخمة التي بنتها بدقة الرأسمالية المتسلطة حتى انه لا يبقى على المرء الا ان يحطم كل شيء .

ما يثير دهشتنا ان العنف كان يُفهم ـ او بالاحرى كنا نحن نفهم العنف ـ على انه ناتج عن الاستغلال والعسف وانه موجه ضدهما. هناك بشكل ما خطة سياسية املت بناء الاحياء المشعشعة ، وهذه السياسة هي ككل سياسة رأسمالية مضادة لمصالح العمال. نحن الكبار نستطيع ان نفهم لماذا يحطم الشباب الابواب والنوافذ كيما يقاوموا هذه السياسة . انا لا اقول بانهم على حق ، اقول باننا نستطيع ان نفهمهم . ولكن ذلك لا يكفي : فهم يتقاتلون فيما بينهم ، ويهاجمون المارة . هذا هو الوضع الذي يثير عنفهم. وهو يبدو لهم شرعيا ، لانه فوضوي . ولو انه اتخذ ادنى طابع سياسي لكان بدا لهم مشبوها. بالنسبة الينا كان العنف امرا نتسامح به عندما كان الامر يتعلق بانقاذ مصالح شعوب او مصالح ثورة او ما شابه ـ اما بالنسبة اليهم فالعنف ليس شيئا يُستغل : العنف شيء حسن انما ان كان **مجردا عن المعنى.**

لن اتحدث عن هذا الموضوع اكثر مما فعلت. ما قصدت اليه ان ابين لك اثرا من آثارنا. على انه من المؤكد انه ليست مفاهيمنا هي التي كيفت هؤلاء الشباب ، بل هي الحرب الباردة في الدرجة الاولى . ولكننا نحن الذين صنعنا الحرب الباردة .

ـ هلا زلت على اعتقادك بانك تقولب العصر هذا ؟

سارتر : عندما يصل الانسان سن الرابعة والخمسين ، فان بوسعه على الاقل ان يبدأ في التحدث عن الماضي . ولكن في كل مرحلة من مراحل عمر الانسان تظل القضية هي ما هي : فالتاريخ يصنع الانسان والانسان يصنع التاريخ .

ـ هل تريد ان تقول باننا مسؤولون امامه ؟

سارتر : مسؤولون ولكن مع هذا متواطئون . المجتمع الفرنسي بكامله هو مسؤول عن حرب الجزائر وعن الطريقة التي جرت فيها ـ التعذيب ، ومخيمات الاعتقال ، وما تبقى . المجتمع باسره ، حتى الذين لم ينوا عن معارضة ذلك ، مسؤول. لقد علقنا كلنا فيها ؛ وكان اقل نزاع بين الحركات اليسارية التي تقاتلت شيئا فشيئا فيما بينها بمثابة اذن بالتعذيب والانقلاب. ان على كل هؤلاء السادة ، امثالنا ، الذين اصبحوا مترهلين بعض الشيء لكن حافظوا على الاستقامة ، ان يأخذوا هذه الحرب كجزء حميم من انفسهم . آنئذ نكون جسما واحدا : نغرق في العنف اكثر فاكثر يوما بعد يوم . هذا بعض ما اردت ان اعبر عنه في « سجناء التونا » . عندما يموت فرانتز ـ فان الجلاد هو نحن ؛ هو انا .

ولكن كل ذلك لا يمنع من الكتابة .

ـ ما هو اذاً دور الادب ما دمت تشعر بالعجز ، وما دام هذا القرن هو اعنف قرن عرفه الناس ؟

سارتر : ان الانسان يعيش محاطا بالصور . الادب يعطيه صورة نقدية عن نفسه .

ـ مرآة ؟

سارتر : مرآة نقدية . ان يبيّن ، ان يدلل ، ان يصور : هذا هو الالتزام . عندما يتم ذلك ، يكون الناس قد نظروا الى انفسهم على الاقل ؛ ثم يعملون ما يحلو لهم . في القرن الثامن عشر كان التاريخ يحمل الكتّاب على كتفيه . اما الآن فقد انتهى كل شيء ، واصبح الادباء اناسا مشبوهين. هذا هو الدور الذي علينا ان نحافظ عليه. اذا فقد مجتمع ما رجاله المشبوهين ، ما الذي يتبقى ؟

ـ تعتقد ان الكتاب مشبوهون ؟ ألا تسبغ عليهم الكثير من الشرف بهذا ؟

سارتر : انهم مشبوهون لانهم يحملون في جيوبهم مرايا يخرجونها ليضعوها في وجه جارهم ـ الذي يتعرض لداء السكتة اذا رأى نفسه دون ان يكون مستعدا لذلك .

انهم مشبوهون لان الشعر والنثر قد اصبحا فنين نقديين. ملارميه هو الذي سمى شعره « شعرا نقديا » . عندما يكتب المرء فانه يضع الكتابة بكاملها على المحك . هذا ما يزال صحيحا الآن . ويحصل الشيء ذاته في الرسم وفي النحت وفي الموسيقى : الفن كله يرتبط بمغامرة رجل فرد ؛ فهو يبحث عن حدوده ويعمل على توسيعها . غير ان الكتابة لا يمكن ان تكون انتقادية الا ان طرحت على بساط البحث كل شيء يتعلق بها: هذا هو موضوعها الصحيح . فمغامرة الكتابة عند كل كاتب هي ان يضع الناس جميعا على المحك : الذين يقرأون منهم والذين لا يقرأون . ان اي جملة ، ولو كانت عن الغابة البكر (شرط ان يكون الكاتب ذا موهبة) تضع كل ما صنعناه على بساط البحث وتطرح قضية الشرعية

(لا يهم اية شرعية ، فالقضية تدور دائما على قدرة الانسان) . قارني هؤلاء المشبوهين بعلماء السلالات البشرية : هؤلاء العلماء **يصفون** ، في حين انه **لم يعد** باستطاعة الكتاب ان يصفوا : انهم يتخذون موقفا .

ـ أليست مهنة الكاتب مهنة غريبة بعض الشيء ؟ طبعا انها تتطلب نشاطا ، ولكن ألا تقوم ايضا على لون من الضعف ؟

سارتر : اما انا ، فقد اخترتها لمقاومة الموت ولانني كنت خلوا من الايمان . ان هذا في الواقع ضرب من الضعف .

في سن السابعة او الثامنة من عمري كنت اعيش مع امي الارملة، ومع جدة كاثوليكية وجد بروتستانتي. على المائدة كان هذا او ذاك منهما يهزأ طيلة الوقت بدين الآخر. كان ذلك بدون ضغينة ـ اشبه بتقليد عائلي. لكن الولد يفكر دائما تفكيرا مستقيما، فكان استنتاجي انه لا قيمة لاي من هذين المذهبين . ومع ان اهلي كانوا واثقين من انهم غرسوا المذهب الكاثوليكي فيّ ، فان هذه الغرسة لم تنبت فعلا ابدا .

وفي هذه السن بالذات اصابني فزع كبير من الموت . لماذا ؟ قد يكون لمجرد اني لم اكن اؤمن بتلك الخرافة المعزية (على الاقل للاطفال) ، التي هي الآخرة . وحتى في ذلك الحين كنت اكتب ولكن كما يكتب الاولاد. فصببت رغبتي في الخلود في رغبتي في الكتابة . واعني بالخلود هنا الخلود الادبي ، طبعا. وهذه الرغبة ، التي صدفت عنها تماما فيما بعد، كانت في البدء بلا شك الدافع الاكبر لنشاطاتي الادبية .

من وجهة نظرية ، المسيحي لا يخشى الموت لانه ينبغي عليه ان يموت ليبدأ الحياة الحقيقية. فالحياة الدنيا ليست الا سلسلة من التجارب والمحن ، التي ينبغي معاناتها لتستحق المجد السماوي. وهذا يفترض التزامات محددة وطقوسا ينبغي القيام بها الى جانب شعائر كالطاعة والطهارة والفقر. فأخذت كل هذا ونقلته الى العالم الادبي . وقلت اني قد اكون مغمورا كل حياتي ولكني سأربح الحياة الابدية لاجتهادي في الكتابة ونقاوتي المهنية. وسوف يبدأ مجدي الادبي يوم اموت . وكانت تجري بيني وبين ضميري محاورات خطيرة: هل ينبغي ان اعرف كل شيء لاستطيع ان اكتب عن كل شيء ؟ أو يجب عليّ ان اعيش كالراهب كيما اكرس وقتي كله لصقل جملي ؟ على اي حال فما كان مطروحا على بساط البحث كان كل شيء. وقد انطبعت الحياة الادبية في مخيلتي بالحياة الدينية. ولم اعد افكر الا بتأمين خلاصي.

لم اكن واعيا لهذا كله حتى سن الاربعين ، وما ذلك الا لانني لم اكن لأسأل نفسي ابدا عن دوافعي للكتابة . كنت اشك في كل شيء ـ الا في مهنتي . الى ان تبين لي ذات يوم ، بينما كنت اكتب بعض آراء اخلاقية ، اني اقوم بوضع نظام اخلاقيات للكتاب الآخرين ، وانا اتظاهر طيلة الوقت باني اتحدث الى الذين لا يكتبون ! وهذا ما ارغمني

على الرجوع الى مصادر هذا الموقف الغريب والى البحث عن مؤثرات طفولتي . والآن انا متأكد ان هذا هو السبب؛ومما يزيد في قناعتي ان كتابا يكبرونني بقليل ـيكبروننيبشيء زهيد جدا ـ قد مروا بالمراحل ذاتها . فقد كان العصر ينشيء ادباءه المقبلين .

وهكذا فان الكتابة هي ، بلا ادنى ريب ، نوع من الهرب او بالاحرى ضعف .

« ولكن ذلك سيان عندي ، طالما اني اكتب « بالود »... »!

ـ ولكن ألم تقل بان المجد الادبي لم يعد يهمك ؟

سارتر : ليست القضية قضية انه لم يعد يهمني ، ولكن انه بعد مرحلة من مراحل العمر لا يعود له من معنى . فكلما اضحى الموت اكثر**حقيقة**اضحى المجد اكذوبةومسخرة ليس اكثر . قال احدهم اخيرا بانه لا يعرف شيئا افظع من اعادة الاعتبار بعد الموت : فهم يعمدون الى احدنا ، ويقتلونه غضبا او اسى ، ثم لا يمضي ربع قرن بعد ذلك الا ويقيمون له تمثالا . ثم يُلقون هم ذاتهم (هؤلاء الثعالب انفسهم) خطبا امام تمثاله : انهم يكرمون الكاتب الميت كيما يتمكنوا من ان يسمّموا كاتبا حيا جديدا .

والواقع انه لا يمكن اعادة الاعتبار لأي شيء ولا لأي احد . وعلى الاخص المجرمين . اما فيما يختص بالميت ، فانه تألم حتى النهاية ، ومات بائسا ، **وهذا كل شيء** . صيروا بودلير ونيتشه شقيين وخرفين تعيسين . ومن ثم طلعوا علينا بان احدهما تنبأ بالقرن العشرين ونعتوا الآخر بانه اكبر شاعر فرنسي ! ... وماذا يغير ذلك ؟ الموت شيء لا تمكن العودة منه .

ولكن ماذا كنت تقصدين بقولك ضعف ؟ لم يكن ما قلته انا على وجه التأكيد .

ـ اعتقد بان للكاتب دائما ملجأ يلوذ به . فهو ينتج اثرا ، حسنا كان او سيئاً ، (قلت بنفسك منذ هنيهة بان العمل الادبي بحد ذاته لا يمكن ان يخيب صاحبه) وعندما لا تؤاتيه الظروف ينسحب من الميدان ويرتد الى ورقته البيضاء . في حين ان الرجل الذي يعتنق العمل السياسي مثلا يفقد كل شيء في حال الفشل .

سارتر : انك تتكلمين كما لو كان باستطاعتنا ان نختار . ولكن ، باستثنـاء مجموعة صغيرة من الناس الميسورين الذين ينتمون الى الطبقة الحاكمة ، لا مجال للخيار بين الكتابة والسياسة . فالظروف هي التي تقرر . بالنسبة الى رجال جبهة التحرير الوطنية في الجزائر، مثلا ، طرحت المشكلة السياسية نفسها حالا وبعنف : فجيل بكامله قذف منذ نعومة اظفاره في غمار الحرب . فالالتجاء الى العنف في الحالة هذه لا يمثل اختيارا، ولكن توجيها املته الظروف. فيما بعد ، بانتهاء الحرب ، قد يقوم بينهم رجال يكتبون. ولكن السياسة والحرب كانا قسمتهم **في البدء** .

في بلادنا الطبقة الوسطى هي التي تزود الامة بالكتاب والسياسيين ، على غير علم منها

بذلك . الوطن هو في حـــال مسطّح منذ سنين عديدة . ولذلك فثمة مجال للتردد . تدركين نتيجة هذا الوضع : سوء حال سياسيي بلادنا . على هـــذا المستوى يحدث التداخل : الادب الرديء يجد ملجأ في محتواه السياسي والسياسة تضحي ادبا رديئا . وانعدام التمييز وصل حدا لدرجة ان بعض الناس يأخذون على الكتاب (وقد اخذوا عليّ ذلك شخصيا) بانهم كانوا السبب في خسارة الحرب (وهذه المؤاخذة تأتي من اليمين) ، وان آخرين يأخذون عليهم بانهم لم يدفعوا النـاس للهجوم على معاقل الاستبداد الجديدة (وهذه المؤاخذة تأتي من اليسار) . ذات يوم عندما كانت احوال البلاد والعالم في ازمة ، جاءني صحفي ، وقال لي : « اريد امرءاً ينادي باعلى صوته ضد الوضع كله . فهل تتكرم بتوجيه النداء ؟ » تعرفين انه حصلت مناسبات في الماضي فعلت ذلك فيها تماما . وكانت قوة هذه النداءات تختلف باختلاف العدد الذي كان قد صمم (قبل توجيهها ، بالطبع) على التظاهر. والواقع ان هذه بالضبط هي قوة الادب المثير عاطفيا، وضعفه: ففي السياسة نجده منوطا بكامله بالآخرين . فهم الآخرون الذين ينفخون الكلمات (التي لم يقرأوها في اغلب الاحيان) باهوائهم الخاصة. ان عمل الملتزم الحقيقي هو، كما قلت لك، البيان والتدليل وكشف النقاب عن الاكاذيب واذابة الخرافات والاوهام في حمام صغير من حامض النقد. والا فان الاسلوب الاشد صفاء والاكثر زهاء يصبح موازيا للعمل السياسي ، لان الكاتب يجعل الامة تكتشف لغتها كاساس لوحدتها ، كما حدث بالنسبة الى بوشكين في روسيا او الى ادباء العهد الاليزابيثي في انكلترا . هذه الظروف المؤاتية لم تقيّض لنا. واني اعتقد ان دوافع التوجه نحو الادب قد اخذت تقل شيئا فشيئا في ايامنا هذه . في ايامي كان يخيل للمرء انه سيموت في سريره ؛ وكان يكفي ان القي نظرة على جدي الهرم جدا ، والمحتفظ مع هذا بشيء من شبابه ، لاثق من اني سأتمتع بحياة طويلة . فكان من حقي ان اعتنق دين الادب . كان امامي ستون سنة من الايمان والرغبة . ولكن منذ مجيء الحرب الباردة ، صار الشباب يربون على الاعتقاد بانهم مائتون غدا . وعادت الغلبة من جديد لله على الادب ؛ واضحى الخلاص على يديه ممكنا ان يحصل في لحظة واحدة . في حين ان الهي ، وهو اكثر قسوة ومتطلبات ، لم يكن ليقبل الا اثرا كاملا ! ... وهكذا تعود الاوهام والاكاذيب من جديد : اذ ان للتاريخ زوابعه .اقول كل هذا لابين ان مسألة كون القوة او الضعف هو الدافع (او اي دافع ذاتي آخر) ، صحيحة ولو بشكل سطحي ، وفي منتهى السذاجة في آن معا . لا تنسي بان الانسان هو العصر بكامله، كما ان الموجة هي البحر بكامله ...

— أتجد بان ميل الناس نحو الكتابة قل ؟

سارتر : انهم ميالون الى الكتابة ، بكل تأكيد . ولكن هل هم يرغبون في ان لا

يفعلوا سوى ذلك ؟ من المحتمل ان نصل مرحلة ما في المستقبل تظهر فيها الكتابة على حين فجأة في انسان ما مجهول ، ثم تختفي ، لتعود فتظهر في سياق مماثل في مكان آخر . لن يكون ثمة كتاب اذ ذاك ـ بل اناس ذوو نشاطات مختلفة ومن بينها الكتابة . وسيكون ذلك اشد اصالة ـ واقرب الى الحاجة للكتابة ، التي هي شيء مطلق بالنسبة للجميع ، حتى في الوقت الحاضر . نحن الذين نحترف الكتابة نزعم بان الكتابة هي رسالة ، والناس يتركوننا نعتقد ذلك ، بسبب عدم اقدامهم هم عليها . وهكذا نوهم الناس باننا نخبة مختارة . ولكن ذلك كذب . ومما يزيد في هذه الاكذوبة والخرافة ، الصحافة ـ التي يهمها الرواج والانتشار ؛ فهي تصور رواج كل كتاب على انه نوع من الاستفتاء والانتخاب . بينما الواقع ان الناس يقرأون لانهم يودون لو يكتبون . وعلى اي حال ، فالقراءة هي نوع من انواع اعادة الكتابة .

اجل ، فمن هذه الناحية يكتشف الناس انهم بحاجة الى التعبير عن حياتهم . عندما كنت سجينا ، كان في القاووش معنا صياد اعتاد الاصطياد في اراضي سواه . وكان اهله قد هجروه وهو طفل وتربى في ملجأ رسمي . وعندما دخل في سلك الجندية تلقى رسالة تنبئه بان زوجته تخونه . فترك المعسكر ، وبندقيته في يده ، ووجدها في السرير بين ذراعي عشيقها ، فقتلها معا لتوه . ثم عاد وسلم نفسه . وكان ذلك في ايار (مايو) ١٩٤٠ . فزجوه في السجن العسكري . ولكنه ما لبث ان خرج منه ، اذ ان الالمان ساقوه الى المانيا وادخلوه المعتقل . ولما كان هذا الجندي لم يجرِ عقابه ، فان جريمته بقيت معلقة في الهواء . كنا نحن رفاقه نعرفها ؛ وكان بوسع عريف عمل كاتبا في المحكمة العسكرية ان يثبتها ؛ لكن لم يكن ذلك كافيا . فقد كان يشعر بان الحيـاة خدعته . لا سيما وان الحزن على الميتين كان يعمل فيه عمله . فخيل اليه بانه لن يبقى من هذه القصة سوى ذكرى مجردة . فعوّل على كتابتها ليعبر عنها ، ليمتلكها واضحة كل الوضوح ، مميزة كل التميز ، ولكن في الوقت ذاته لـكي تمتلكه بدورها وتبقى حية نابضة في داخل نفسه . وطبيعي انه كتبها كتابة رديئة جدا ؛ فهنا تبدأ المصاعب . اقرأي «مفارقة ايتري» لبلنشو ؛ فهذا الكتاب يبين بوضوح وروعة كيف ان الرغبة الاولية في قول كل شيء تفضي الى اخفاء كل شيء . ولكن هذه قضية اخرى . ما اردت ان اقول هو ان الناس ، الناس جميعا ، يودون ان يعرضوا هذه الحياة التي عاشوها ، هي وكل ما فيها من غموض (فهي حياتهم ، أليس كذلك؟) ، وان يفصلوا بينها وبين كل ما يختلط بها ويشوبها ويسحقها . التعبير يصبح محاولة للوصول الى جوهر تلك الحياة عن طريق التخلص من كافة الاسباب الثانوية والشكلية التي تطغى عليها . ان كل انسان يود ان يكتب لانه بحاجة لان يعني شيئا ، لان يعطي دلالة على ما يشعر به . والا فكل شيء يمضي بسرعة هائلة ، وانفنا يشمشم على الارض ، كالخنزير الذي يجبره

صاحبه على التفتيش عن الكمأة في الارض ، غير انه لا يجد شيئا .

لقد فقدت الكثير من الاوهام الادبية التي كانت لي : فلم اعد اؤمن بان للادب قيمة مطلقة ،او انه يستطيع ان يخلص انسانا او حتى ان يغيره (اللهم الا في حالات استثنائية) ؛ اشعر الآن ان هذا كله لا صحة له . يستمر الكاتب على الكتابة لانه ، كما يقول الاطباء النفسانيون ، قد وضع جميع امكاناته في الكتابة . ذلك اشبه بالطريقة التي نستمر فيها على العيش مع اناس لم تعد تربطنا بهم اية صلة ، او الذين تبدلت صلتنا بهم ـ كالعائلة مثلا. ومع ذلك يبقى لديّ ايمان وحيد لن اتزحزح عنه : وهو ان الكتابة هي حاجة لكل انسان. وهي تمثل ارفع شكل من اشكال الحاجة الى الاتصال .

ـ اذا كان الامر كذلك ينبغي ان نعتبر بان الذين احترفوا مهنة الكتابة هم اسعد الخلق : لانهم يصرفون اوقاتهم كلها في عمل ما يحلم سائر الناس بعمله ؟

سارتر : كلا ، طالما ان تلك هي **مهنتهم** . ما اقوله هو هذا : ينبغي على كل انسان في حياته ان ينتزع حياته من جميع ضروب الليل .

ـ هل وجود القارىء ضروري ؟

سارتر : بلا ريب . ان « الصرخة المكتوبة » ، كما يقول كوكتو ، لا تصبح شيئا مطلقا الا اذا خلدتها الكتابة ـ الا اذا استطاع الآخرون ادخالها في **الفكر الموضوعي** . من المؤكد ان ثمة فجوة زمنية بين الجمهور الذي يستهدفه الكاتب (والذي يمكن ان يكون خياليا) وبين الجمهور الحقيقي . ولكن قد يحدث ان يحل الثاني محل الاول .

ـ اذاً فان اعمق رغبة لدى الانسان هي ان يكون كاتبا ؟

سارتر : نعم ولا . فالكاتب تقوم غربة بينه وبين الكتابة : وهذا شيء مؤسف . في الثامنة من عمري ، كنت اعتقد ان الطبيعة نفسها تهتم بالنتاج الجيد: وانه عندما يخط الكاتب كلمة « انتهى » فان النجوم المذنّبة تتهاوى في السماء . اما اليوم فاني اعتقد بان الكتابة هي مهنة كسائر المهن . ولكني اكرر لك بان ذلك ليس بالامر المهم . ان ما يرغب فيه الناس جميعهم ـ وبعضهم بدون علمه ـ هو ان يكونوا شهوداً لعصرهم ، شهوداً لحياتهم ، ان يكونوا ، قبل كل شيء، شهوداً لانفسهم. وثمة شيء آخر: ان احاسيس البشر وتصرفاتهم هي اشياء مختلطة مبهمة . هناك ردود فعل داخلية توقف تطورها، وطفيليات تشوش عليها . فلا يعيش الانسان المأساة مأساويا ، ولا اللذة بلذة. واذ يريد ان يكتب ، فان ما يحاول فعله هو الوصول الى التصفية والتنقية .